وزارة التعليم والبحث العلمي
جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم التاريخ
المرحلة الثانية

التاريخ الدولة العربية الاسلامية

في العصر الاموي

الفصل الثاني

المحاضرة التاسعة

اولاً: حركة عبد الله بن الزبير

ثانياً: أسباب سقوط دولة عبدالله بن الزبير :

استاذ المادة :
أ.م.د. زياد علي عبدالله

اولاً: حركة عبد الله بن الزبير

هو «عبدالله بن الزبير بن العوام»، وأمه أسماء بنت أبى بكر الصديق»، ولد في العلاقة - الأول من الهجرة، وهو أول مولود للمسلمين في «المدينة»، وكانت سعادتهم به عظيمة، لأن اليهود أشاعوا أنهم سحروا المسلمين، فلن يُولد لهم ولد نشأ «عبد الله» نشأة إسلامية بيئة طيبة طاهرة معطرة بعبق النبوة، فأبوه «الزبير » ابن عمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صفية بنت عبد المطلب»، و «أبو بكر الصديق» جد «عبد الله» * «عائشة» أم المؤمنين خالته، وكانت تكنى به، ويقال لها: «يا أم عبد الله»، لأنها لم تنجب ولدا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويُعد من الصحابة، لأنه عاش نحو عشرة سنوات في حياه النبي (صلى الله علي وسلم) كان «عبد الله» شجاعًا، ذكي - الفؤاد، معتدا بنفسه، ذا طموح كبير ، شارك في الفتوحات وهو حدث صغير، فحضر معركة اليرموك» سنة (١٣هـ)، واشترك في «فتح شمالي إفريقيا» في خلافة «عثمان بن عفان»، رضي الله عنه، ولما حصر «عثمان» في داره كان «عبد الله» من المدافعين عنه، وحضر معركة «الجمل» مع أبيه . ولما ولى معاوية بن أبي سفيان الخلافة سنة (٤١هـ) استمال إليه «عبد الله بن الزبير وأحسن إليه كما أحسن إلى غيره من الصحابة وأبنائهم، فقابل ذلك بحسن الطاعة بل شارك في الغزو تحت قيادة ابنه «يزيد» في فتح القسطنطينية»، وظلت علاقته بمعاوية على ما يرام إلى أن أخذ البيعة لابنه «يزيد»، فأظهر «عبد الله» معارضته الشديدة لذلك. وبعد وفاة «معاوية بن أبي سفيان» رفض أن يبايع «يزيد»، وركن إلى «مكة المكرمة»، وسمى نفسه «العائذ بالبيت»، لكنه لم يعلن رغبته في الخلافة لوجود «الحسين بن على عليه السلام، فلما استشهد في «كربلاء » ل وتوفي «يزيد بن معاوية» بعد ذلك سنة (٦٤هـ) أعلن نفسه خليفة في «مكة»، وأسباب اختيار ابن الزبير لمكة في مقاومته للحكم الأموي ، لأنها موطن الرسالة ونزول الوحي ولما سادت الفوضى الدولة الأموية بعد موت «يزيد» ورفض ابنه «معاوية» قبول الخلافة، تلفت الناس حولهم، فلم يجدوا أفضل من «عبد الله بن الزبير»، فبايعوه . واتسعت دولته حتى شملت معظم أنحاء الدولة الإسلامية، عدا «الأردن» في الشام. وبينما رحى الحرب دائرة بين الحصين بن نمير وابن الزبير أتى نعي يزيد فتوقف القتال وأدرك الحصين وهو احد كبار القادة العسكريين في الدولة الأموية، ان ورقة ابن الزبير ستكون الرابحة بعد غموض الموقف في دمشق فرأى ان يأخذ البيعة له شرط ان ينتقل معه الى دمشق، فقابل وعرض عليه البيعة على شرطه رفض ابن الزبير هذا اياه بقصر النظر السياسي العرض، مفوتاً فرصة ذهبية وذهل الحصين من موقفه

هذا وأشار بشيء من السخرية متهماً ويبدو ان ابن الزبير ادرك ان اهل الشام مخلصون لبني امية، كما أن الحصين ليس بالقادر على التكلم بلسانهم جميعاً، ولذا لم يكن بوسعه الاطمئنان الى وعوده يضاف الى ذلك انه كان يرى في اهل الحجاز انصاره واعوانه، كان رفضه عن اقتناع منه حتى لا يصيبه ما أصاب الحسين من قبل، ثم حدث بعد ذلك ان رفع الحصين الحصار عن مكة وعاد الى دمشق الواقع ان ابن الزبير كان المستفيد الأول من موت يزيد وارتباك الاسرة الاموية في معالجة النتائج السلبية التي انعكست عليها، لكنه وبالرغم من وجهة نظره أضاع الفرصة التي اتيحت له لانقاذ العالم الاسلامي من الحرب الاهلية، ثم اعلنت خلافة معاوية الثاني بن يزيد في غضون ذلك في دمشق بينما اعلن ابن الزبير نفسه خليفة في المدينة)

ثانياً: أسباب سقوط دولة عبدالله بن الزبير :

عندما بايع الناس «عبدالله بن الزبير» بالخلافة سنة (٦٤هـ) كانت كل عوامل النجاح متوافرة له، فقد بويع له بالخلافة في وقت لم يكن فيه للمسلمين خلافة، وهو بذلك خليفة شرعى وليس خارجا على خليفة، وكانت تلك دعامة قوية له، ثم إن معظم أقطار العالم الإسلامى قد بايعته راضية ومقتنعة به، لماضيه وماضى أسرته، وعلاقته الوثيقة ببيت النبوة. وعلى الرغم من ذلك كله فإن «عبد الله بن الزبير» أخفق في الحفاظ على دولته لأسباب كثيرة، منها :

١- أنه قبع «مكة»، وهي على قداستها لم تكن تصلح عاصمة سياسية لدولة امتدت حدودها فكان عليه أن ينتقل إلى قطر غني، يتوسط الدولة كالعراق أو الشام، ولو فعل ذلك لكان أفضل له ولشد من عزيمة أنصاره؛ لأن كفته كانت ترجح كفة مروان بن الحكم». وابنه «عبدالملك» عند كثير من الناس حتى في الشام نفسها، فقد بايعه معظم أهلها

ويمكن أن نجمل أثر بقاء ابن الزبير في مكة على حركته في النقاط التالية : ؟

أ- الموقع فمكة من حيث الموقع بعيدة عن الشام والعراق، وهما الإقليمان اللذان شهداء أهم مراحل الصراع بين ابن الزبير وبني أمية، فهذا البعد لم يتح لابن الزبير الاطلاع ومتابعة ما يحدث من صراع بين الموالين له وخصومه لاسيما مع ضعف إمكانات الاتصال، وبالتالي فإن ذلك لا يتيح لابن الزبير اتخاذ القرارات المناسبة إزاء ما يجري على الساحة بعكس خصومه الأمويين الذين كانوا يعيشون الأحداث ،مباشرة، ومن جانب آخر فإن ملكة تقع في واد محصور بين عدة جبال شاهقة وهى اشبه ما تكون بالمصيدة لمن يعتصم بها حينما تحاصرها الجيوش من كل جانب، ويقطعون عنها الإمدادات، وكادت حركة ابن الزبير تخمد منذ وقت مبكر حينما حاصر الحصين

بن نمير ابن الزبير داخل مكة سنة٦٤ هـ لولا أن الله أنقذه بوفاة يزيد بن معاوية وانسحاب جيش الحصين إلى الشام.

ب- الناحية الاقتصادية: تعتمد مكة بشكل خاص - والحجاز بشكل عام في مواردهما الاقتصادية على ما يأتيهما من خارجهما خاصة من الشام ومصر، وانقطاع هذه الموارد يتسبب في إحداث مجاعة ترهق المقيمين فيهما وقد أفاد بنو أمية من هذا العامل إفادة كبيرة في صراعهم مع ابن الزبير فبعد سقوط مصر والشام في أيدي الأمويين انقطعت الإمدادات تصل إلى المدينة، وبطبيعة الحال فإن مكة سينالها ما نال المدينة، كما لجأ الأمويون ا لى هذا السلاح أيام الحصارين الأول والثاني" .. وأصابت الناس مجاعة شديدة حتى ذبح ابن الزبير فرساً له وقسم لحمه في أصحابه. وقال الواقدي: حدثني ابن جريج عن عطاء قال: رأيت العباد من أصحاب ابن الزبير يأكلون لحوم البراذين في حصار ابن الزبير. وقال الزبير المملوءة قمحاً وشعيراً وذرة وتمراً. الواقدي في روايته وبيعت الدجاجة بعشرة دراهم ومد الذرة بعشرين درهماً، وإن بيوت ابن الزبير لمملوءة قمحا وشعيرا وذرة تمرا

ت- الموارد البشرية: تبع قيام حركة الفتوح الإسلامية هجرة العديد من القبائل إلى الأقاليم المفتوحة وتركزت معظم هذه القبائل في العراق والشام ومصر، وقد ترتب على ذلك اختلال معادلة التوزيع السكاني لترجيح كفة هذين الإقليمين على الحجاز الذي عانى من نقص الكوادر البشرية ، وهذا النقص في الواقع لم يتح لابن الزبير تكوين جيش قوي أية لحظة لمهاجمة الخصم، أو أقل تقدير لصد هجومه، ولذلك نجد أن ابن الزبير إزاء هذا الوضع يلجأ دائما إلى طلب الإمدادات من العراق، هو بذلك يربط تحركاته بما يكون عليه الوضع في هذا الإقليم من حيث استقراره واستعداد واليه لإرسال المدد، وهذا مما يفوت على ابن الزبير الكثير من الفرص

٢- الظروف السيئة التي وجدت فيها حركة ابن الزبير ساهمت إلى حد كبير في خلافته، تمثلت هذه الظروف بظهور التيارات والاتجاهات المذهبية والقبلية وانعدام الاستقرار السياسي الذي هو من أهم الشروط لقيام حكم مستقل ، لقد أشغل الخوارج ابن الزبير كثيراً، كما أن حركة المختار أخذت من جهده ووقته ورجاله و فهذه الحركات ذات المنطلقات العقائدية أشغلت ابن الزبير كثيرا عن التفكير في تنظيم دولته، كما استنزفت الكثير من طاقاته المادية والبشرية.

٣- امتناع بنى هاشم» عن بيعته فقد رفض أن يبايعه زعماؤهم، مثل: «عبدالله بن عباس» و «محمد بن علي بن أبي طالب»، وكان قاسيًا معهم، فلم يعاملهم بما يليق بهم من التقدير والاحترام، مثلما كان يفعل معهم بنو أمية»، بل تهددهم وسجنهم فلم يرضخوا له، وبايعوا «عبدالملك بن مروان، كما امتنع عن بيعته «ابن عمر»، فأضعف ذلك كله موقفه.

٤- معارضة الخوارج له، بعد أن رفض اعتناق أفكارهم وآرائهم، فانقلبوا ضده. وكان مع ابن الزبير قوم قدموا مع ابن عديس من مصر، ثم صاروا خوارج ذوو شجاعة وبأس فقاتلوا معه دافعين عن البيت معظمين لحرمته وكانت لهم نكاية في أهل الشام، فبلغه عنهم ما يقولون الله تعالى عنه فقال : والله ما أحب أن أستظهر على عدوي بمن يبغض عثمان رضي الله تعالى عنه فقال ولا بأن ألقي الله إلا ناصراً له، وجعل يماكرهم فقالوا : والله ما نرى أن نقاتل مع رجل يكفر أسلافنا، وما قاتلنا إلا لحرمة هذا البيت، وأن نردها شورى فتفرقوا عنه فاختل عسكره وعريت مصافه ودنا منه عدوه حتى قاتلوه في جوف المسجد، فقال عبيد بن عمير: عجباً لك ولما صنعت لهؤلاء القوم ، وهم أهل البلاء الحسن والأثر الجميل هلا سكت عنهم واحتملتهم الله وتضع الحرب أوزارها وقد قلت لو أن الشياطين أعانتني على هؤلاء القوم لقبلتهم وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعين في حربه بالمنافقين واليهود.

٥- عدم اهتمامه بالشعراء وإغداق الهدايا عليهم. فالمعركة الإعلامية انتصر فيها الأمويون إنتصاراً كبير على ابن الزبير، فقد كانوا يعطون الشعراء ويشترون الناس بالأموال.

٦- إن الطريقة التي اتبعها ابن الزبير في القضاء على أخيه عمرو بن الزبير بعد ما . في الأسر جعلت الناس ينظرون إليه على أنه رجل تنقصه العاطفة والشفقة، وكان لذلك مرده السيء على تعاطف الناس مع قضيته، فعمرو بن الزبير كان يضرب الناس في بناء على تهم موجهة إليهم بشأن تعاطفهم وتعاملهم مع ابن الزبير وكان معيناً من قبل الدولة وكانت قرارته يتخذها بطبيعة عمله (وإن كان فيها شيء من التجني والخطأ والظلم ...

٧- خيانة أهل «العراق»، وعدم إخلاصهم له، فقد تخلى معظمهم عن أخيه «مصعب» عندما التقت جيوشه بجيوش عبد الملك بن مروان»، وانضموا إليها.

٨- إسراف أخيه «مصعب» في سفك الدماء حتى ليروى أنه قتل ستة آلاف من أهل «الكوفة» دفعة واحدة بعد مقتل «المختار بن عبيد الله الثقفى» سنة (٦٧هـ)؛ مما أوغر صدور قبائلهم على آل الزبير فليس ببعيد أن يكون موقفهم في معركته الفاصلة «عبدالملك» انتقاما منه لما صنع بأهاهم

٩- تفوق خصوم ابن الزبير، فليس بمستغرب أن يتفوق بنو أميه على ابن الزبير، الذي لم تتح له الفرصة لأن يتولى إقليماً من الأقاليم ليكتسب الخبرة في الحكم مثل الأمويين الذين الحكم مثل التكتيك الحربي، وقيادة الجيوش وكان يعتمد على قواده أو ولاة الأقاليم في حروبه ولم يغادر مكة قطع وقد انتقد عبد الملك بن مروان هذه السياسة فقال: إن عبد الله بن الزبير لو كان خليفة كما يزعم لأبدى صفحته، وأسى أنصاره بنفسه، ولم يغرز ذنبه في الحرم .

١٠- شحه بالمال وعدم سخائه مع أنصاره في الوقت الذي كان فيه يسخو خصمه «عبدالملك بن مروان على أنصاره بل استطاع بالمال استمالة أنصار «ابن الزبير » نفسه إلى صفه. وقال ابن

الكلبي وغيره: كان أهل الشام ينتظرون فناء ما كان عند ابن الزبير من الطعام، فكان يحوط ذلك ولا ينفق منه إلا ما يمسك الرمق ويقول أنفسهم قوية ما لم يفن، يعني أنفس أصحابه.